عنوان المحاضرة

التفسير والتأويل

علم التفسير والتأويل :

العلم: في اللغة من علم يعلم فهو عالم ، وهو ادراك الشيء على ماهو عليه.وفي الاصطلاح هو ضد الجهل.

التفسير في اللغة : يعني الإبانة والكشف وإظهار المعنى .

وفي الاصطلاح : هو علم يبحث عن كيفية الفهم لألفاظ القرآن الكريم ومدلولاتها ، وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك. وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ ؟ أي بياناً وتفصيلاً ، وقد عرفه الزركشي بأنه علم يفهم به كتاب الله تعال المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه . أو : هوعلم يبحث عن أحوال القرآن من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية .

أما التأويل فهو في اللغة : مأخوذ من الأول . هو الرجوع إلى الأصل ، يقال آل إليه أولاً ومآلاً .

أي مرجعا ، ويُقال : أول الكلام تأويلاً ، وتأوله : أي دبره وقدره وفسره .

والتأويل في الاصطلاح له معنيان :

المعنى الأول : تأويل الكلام بمعنى ما أراده المتكلم في الواقع ، والكلام إنما يرجع ويعود إلى حقيقته التي هي عين المقصود . أي معناه تطبيق الكلام على حقيقته ، هو بهذا المعنى يفترق عن التفسير .

المعنى الثاني : تأويل الكلام أي تفسيره وبيان معناه ، ومن هذا يتضح أن التفسير والتأويل لفظان مترادفان في أشهر المعاني اللغوية ، وكما في دعوة النبي ﷺ لابن عباس بقوله صلوات الله وسلامه عليه وآله " اللهم فقّهُه في الدين وعلّمه التأويل " .

الفرق بين التفسير والتأويل

اختلف العلماء في بيان الفرق بين التفسير والتأويل ، وفي تحديد النسبة بينهما اختلافا نتجت عنه أقوال كثيرة ، وكأن التفرقة بين التفسير والتأويل أمر معضل استعصى حله على كثير من الناس الا من سعى بين يديه شعاع من نور الهداية والتوفيق .(الذهبي)

وهذه هي أقوال بعض العلماء أعرضها بين يدي القارىء ليقف على مبلغ هذا الاختلاف ، وليخلص هو برأي في المسألة بما يوافق ذوقه العلمي ويرضيه.

١ ـ قال أبو عبيدة وطائفة معه: «التفسير والتأويل بمعنى واحد» فهما مترادفان. وهذا هو الشائع عند المتقدمين من علماء التفسير.

٢ ـ قال الراغب الأصفهاني: «التفسير أعم من التأويل.

والتأويل في المعاني ، كتأويل الرؤيا. والتفسير أكثر ما يستعمل في الألفاظ ،

والتأويل يستعمل اكثره في الكتب الالهية. والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها.

والتأويل أكثره يستعمل في الجمل والتفسير أكثره يستعمل في مفردات الألفاظ. ،

فالتفسير اما ان يستعمل في **غريب الألفاظ** كالبحيرة والسائبة والوصيلة او **في تبيين المراد وشرحه** كقوله تعالى في الاية (٤٣) من سورة البقرة: «وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة» ، وإما **في كلام مضمن بقصة** لا يمكن تصوره الا بمعرفتها نحو قوله تعالى في الاية (٣٧) من سورة التوبة: «إنما النسيء زيادة في الكفر» وقوله تعالى في الاية (١٨٩) من سورة البقرة: «وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها» الآية.

وأما التأويل: فانه يستعمل مرة عاما ، ومرة خاصا ، نحو الكفر المستعمل تارة في الجحود المطلق ، وتارة في جحود الباري خاصة. والايمان المستعمل في التصديق المطلق تارة ، وفي تصديق دين الحق تارة ، وإما في لفظ مشترك بين معان مختلفة ، نحو لفظ وجد ، المستعمل في والوجد(من الوجدان والعاطفة) والوجود» :

٣ ـ قال الماتريدي: «التفسير القطع على أن المراد من اللفظ هذا ، والشهادة على الله أنه عنى باللفظ هذا ، فان قام دليل مقطوع به فصحيح ، والا فتفسير بالرأي ، وهو المنهى عنه ، والتأويل ترجيح احد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله». وعلى هذا فالنسبة بينهما التباين أي لاترادف.

٤ ـ قال أبو طالب الثعلبي: «**التفسير** بيان وضع اللفظ اما حقيقة او مجازاً ، كتفسير الصراط بالطريق ، والصيب بالمطر. **والتأويل** تفسير باطن اللفظ ، مأخوذ من الأول ، وهو الرجوع لعاقبة الأمر. والتفسير إخبار عن دليل المراد ، والتأويل إخبار عن حقيقة المراد ، ، لأن اللفظ يكشف عن

المراد ، والكاشف دليل ، مثاله قوله تعالى من سورة الفجر: إن ربك لبالمرصاد» تفسيره انه من الرصد ، يقال رصدته: رقبته ، والمرصاد مفعال منه ، وتأويله التحذير من التهاون بأمر الله. والغفلة عن الأهبة والاستعداد للعرض عليه. » وعلى هذا فالنسبة بينهما التباين أي لا ترادف.

٥ ـ قال البغوي : «التأويل هو صرف الاية الى معنى محتمل يوافق ما قبلها وما بعدها ، غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط. والتفسير هو الكلام في أسباب نزول الاية وشأنها وقصتها» بتصرف. وعلى هذا فالنسبة بينهما التباين.

٦ ـ قال بعضهم: التفسير ما يتعلق بالرواية ، والتأويل ما يتعلق بالدراية»: وعلى هذا فالنسبة بينهما التباين.

٧ ـ التفسير هو بيان المعاني التي تستفاد من وضع العبارة ، والتأويل هو بيان المعاني التي تستفاد بطريق الاشارة. فالنسبة بينهما التباين ، وهذا هو المشهور عن المتأخرين ، وقد نبه الى هذا الرأي الأخير العلامة الألوسي في مقدمة تفسيره حيث قال بعد أن استعرض بعض أقوال العلماء في هذا الموضوع «(وعندي أنه إن كان المراد الفرق بينهما بحسب العرف فكل الأقوال فيه ـ ما سمعتها وما لم تسمعها ـ مخالف للعرف اليوم اذ قد تعورف من غير نكير: ان التأويل اشارة قدسية ، ومعارف سبحانية ، تنكشف من سجف العبارات للسالكين ، وتنهل من سحب الغيب على قلوب العارفين. والتفسير غير ذلك.

هذه هي أهم الأقوال في الفرق بين التفسير والتأويل. وهناك أقوال اخرى أعرضنا عنها مخافة التطويل.

والذي تميل اليه النفس من هذه الأقوال: هو أن التفسير ما كان راجعاً الى الرواية. والتأويل ما كان راجعاً الى الدراية ، وذلك لأن التفسير معناه الكشف والبيان. والكشف عن مراد الله تعالى لا نجزم به الا اذا ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، او عن بعض أصحابه الذين شهدوا نزول الوحي وعلموا ما أحاط به من حوادث ووقائع ، وخالطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورجعوا اليه فيما أشكل عليهم من معاني القرآن الكريم.

وأما التأويل فملحوظ فيه ترجيح احد محتملات اللفظ بالدليل. والترجيح يعتمد على الاجتهاد ، ويتوصل اليه بمعرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها في لغة العرب ، واستعمالها بحسب السياق ، ومعرفة الأساليب العربية ، واستنباط المعاني من كل ذلك. قال الزركشي: «وكان السبب في اصطلاح كثير على التفرقة بين التفسير والتأويل التمييز بين المنقول والمستنبط ، ليحيل على الاعتماد في المنقول ، وعلى النظر في المستنبط».